

طقوس الميلاد لدى سكان الجزائر

- دراسة اثنوغرافية على عينة من الأطفال حديثي الولادة عند العائلات البجاوية
نموذجاً-

Birth rites for the inhabitants of Algeria.

-An ethnographic study on a sample of newborn children in the Bejawi families.

ليدية عجيسة^{1*}، خالد زعاف²،

¹ الخبير المتعدد التخصصات في علوم الإنسان، البيئة والمجتمع، جامعة أكلي محند أولحاج البويرة،
(الجزائر)، l.adjissa@univ-bouira.dz

² المخبر المتعدد التخصصات في علوم الإنسان، البيئة والمجتمع، جامعة أكلي محند أولحاج البويرة
(الجزائر)، k.zaaf@univ-bouira.dz

تاريخ النشر: 2024/12/18

تاريخ القبول: 2024/02/12

تاريخ الاستلام: 2020/09/27

ملخص:

تهدف دراستنا لاستعراض أهم الدلالات الاجتماعية والرمزية لمختلف الممارسات المتعلقة بالحدث الاجتماعي الخاص بعملية الولادة، وما يرتبط به من معتقدات وطقوس العبور الممارسة بين العالم الدنيوي وعالم الغيب. استعملنا في ذلك المنهج الأنثروبولوجي باعتماد الملاحظة بالمشاركة مع المقابلة. حيث توصلت الدراسة إلى أن أغلب الطقوس الممارسة، فعل اجتماعي تقليدي استطاع أن يترجم المعتقد الديني و الغيبي إلى منظومة اجتماعية متكاملة لها دور في توحيد الرابطة الجماعية والأسرية وتوحيد الفعل الاجتماعي، و قد تبين أن أغلب مصادر هذه الطقوس الدين الإسلامي والسنة النبوية، إلا أنه تبين وجود ممارسات مرتبطة بالتاريخ الثقافي للمنطقة من أساطير و خرافات. في الأخير تم وصف هذه الطقوس و التعرف على سر تمسك سكان المنطقة بها في ظل تغير اجتماعي يعرف بروز أفعال أكثر حداثة من مجرد ممارسات تبقى أحيانا مجهولة التفسير والمصدر حتى من بين هؤلاء الذين يمارسونها. كلمات مفتاحية: طقوس، الميلاد، التراث الشعبي، الدين، المعتقدات .

Abstract:

* المؤلف المرسل: د. عجيصة ليدية.

The study aims to review the most important social and symbolic connotations of the various practices related to the social event of the birth process, and the associated beliefs and rites of passage practiced between the mundane and the unseen. We used the anthropological approach by adopting observation in conjunction with the interview.

Where the study concluded that most of the rituals that are practiced are a traditional social act that was able to translate the religious and metaphysical belief into an integrated social system that has a role in unifying the collective and family bond and unifying the social act. and the existence of practices associated with the cultural history of the region, including myths and legends. In a society defined by actions more modern than mere practices that sometimes remain anonymous, even among those who practice them.

Keywords: Rituals, Birth, Folklore, Religion, Beliefs.

1. مقدمة:

تعتبر عملية الولادة من الأحداث الهامة والكبرى في المجتمع الجزائري، يرافق هذا الحدث مجموعة من الأفعال والممارسات التي تصب في هدف تكريم المولود بعد انتقاله من مرحلة الجنينية إلى مرحلة الولادة والخروج إلى العالم الأرضي، أو بالأحرى من مرحلة لا وجود (لم يكن شيء) إلى مرحلة الميلاد والوجود، هذه الطقوس التي تمارس من قبل الجزائريين بما في ذلك العائلات البجاوية، بهدف تكريم والاحتفال كذا استقبال عضو جديد لانضمامه إلى العائلة و المجتمع الإسلامي، وما يمتزج بهذه الطقوس الإدخالية أو طقوس العبور كما عبر عنها دوركايم من اعتقادات دينية و أساطير غيبية و تقاليد موروثة من الأجداد عبر أفراد العائلة الواحدة.

حيث يحتل الأطفال أهمية بالغة لدى سكان بجاية¹، باعتباره ثمرة زواج شرعي مقدس، نجد هذه العائلات على سبيل المثال تستدعي في طقوسها واحتفالاتها المختلفة : عون الله وحماية الملائكة للطفل من

⁽¹⁾ تعتبر بجاية أو فقايت Vgayethe كما يطلق عليها سكان المنطقة، إحدى ولايات الجزائر الكبرى، و تعتبر عاصمة منطقة القبائل الصغرى. تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط على بعد 250 كلم شرق الجزائر العاصمة، و 93 كلم شرق تيزي وزو و على بعد 81.5 شرق برج بوعربرج و 70 كلم شمال غرب ولاية سطيف وعلى بعد 61 كلم غرب ولاية جيجل. حيث يتكلم سكان منطقة بجاية اللهجة القبائلية Takvaylit بامزج تارة بين الكلمات الأمازيغية والأخرى العربية باعتبارها كانت منبر الحضارة الإسلامية العربية و قبله لتعليم القرآن الكريم والفقه والسنة في العهود السابقة، وهي اللهجة الأكثر تحدثا في الجزائر من بين لهجات اللغة الأمازيغية التي أصبحت وطنية في 2002، ثم ألغنت كلغة رسمية ثانية للدولة منذ سنة 2016.

منطلق مجموعة من الطقوس والتراويل والمخطوطات، كذا استبعاد الجن والشورور وتقريبه عن طريق طقوس تبعد بين العالمين الإنس أو الجن، أو طقوس تستدعي السلام بين العالمين و اتفاق حتى لا يؤدي أي طرف الطرف الثاني بما في ذلك الطفل كونه مخلوق ضعيف لا يستطيع الدفاع على نفسه، لذلك تقام مجموعة من الطقوس وتقدم مجموعة من الأشياء لهدف تحصينه وحمايته من تقرب العوامل الأخرى، سواء كانت عن طريق احتفال جماعي، أو ذبح شاة، أو بتحضير أعشاب معينة أو حرز[†] أو فضة.. ذات دلالات معينة ورموز متعددة تستخدم لهدف الهدنة والسلام وحماية الصغير كذا التبرك به، حيث عادة ما يرتبط بمثل هذه الاعتقادات التي يتم ترجمتها فعليا أو ممارسة إلى طقوس وأفعال اجتماعية، عن طريق تأثير مجموعة من القصص والحكايات والأساطير، سواء كانت حقيقة دينية، أو أساطير شعبية تجهل مدى مصدقتها أحيانا من قبل الفاعلين الاجتماعيين الذين يمارسونها، أو عبارة عن ضوابط واتفاقيات عائلية قديمة بين عالم الجن وعالم الإنس التي عادة ما يملها الأشخاص الروحانيون والكهنة؛ على أحد الأجداد أن يمارسها على أولاده وأحفاده حتى يستبعد تعقب الجن للمولود وإلا أصابه سوء، فنجد أن هذه الطقوس تمتزج كليا بالجانب الديني والجانب الغيبي، استطاعت في مجملها أن تصور لنا موروث شعبي ثقافي لجماعة معينة، له الدور البالغ في تحديد وتوجيه الفعل الاجتماعي لسكان المنطقة، رغم ما توصل إليه العلم الحديث من نتائج مبهمة، إلى جانب اجتياح العولمة والعلم المؤثر في هوية الأمم وثقافتها، إلا أن العديد مثل هذه المناطق لم تستطع بعد التحرر من أفكارها وعاداتها المسبقة رغم درجة التحضر والعلم والطب التي توصلت إليها هنداما وعلمنا وثقافة وحتى في أشكال بنائهم وحياتهم، التي تعكس نوعا من التناقض بين شكل الخارجي لهذه الجماعات، وأفعالها الاجتماعية المتعلقة بالأحداث الكبرى للحياة خاصة: الميلاد، الزواج، والموت.

من أجل فهم الأفعال والممارسات المرتبطة بهذا الحدث الهام، اعتمدنا على عدد من الإجراءات المنهجية، المتمثلة في المنهج الوصفي للطقوس المرافقة لعملية الولادة، معتمدين في ذلك على المنهج

[†] (هو من أعمال الشعوذة، والمقصود منها أن يذهب الشخص إلى المعالج أو المختص في الغيب حسب اعتقاد سكان المنطقة، من أجل أن يساعده في النجاح أو الشفاء أو الزواج أو إبعاد السوء عن أولاده وحتى يستخدم في تهدئة المشاكل العائلية والزوجية والشخصية. يقدمه عادة مختص في الدين مع المزج بأعمال من السحر والشعوذة، ويكون الحرز على شكل ورق مكتوب بحبر خاص مبارك، يعلق في الصدر أو البيت أو يوضع في الوسادة.. فيه طلاسم ومخطوطات وأدعية قرآنية عادة ما يمزج بيه الآيات القرآنية وأسماء الأشخاص إلى جانب أسماء الجن والعفاريت أو الروحانيون، الذين يعتقد منهم أنهم سيكون في مقربة من الشخص الذي قام بحمل الحرز فيبعدون الشرور والحسد والسحر والمشاكل عليه.

الأنثروبولوجي مستعملين الملاحظة بالمشاركة والمقابلات النصف الموجهة، كذا التسجيل الفوتوغرافي كأدوات لجمع البيانات المتعلقة بالموضوع المعالج. أما مجتمع الدراسة تمثل من مدينة بجاية، التي تتكون من 19 دائرة، وتم اختيارنا ل 5 دوائر بشكل عشوائي من مختلف حدود الولاية، تمثلت في المزج بين المناطق الريفية (قرية سيدي عيش، ذراع القايد بخراطة) والأخرى الشبه الحضرية (دائرة أقبو ودائرة أميزور)، و مقر المدينة، حيث قمنا متابعة عملية الولادة التي حدثت بين فترة (ديسمبر 2020، إلى غاية ماي 2021، وذلك من خلال التواجد في مستشفى بعد عملية الولادة مباشرة، ثم الانتقال بعد وضع الجنين إلى منزل العائلة لترصد مختلف الطقوس وإجراء مجموعة من المقابلات حول المعتقدات الممارسة بين أمهات الأطفال الجدد، وخاصة الناس الكبار من الجدات والأجداد.

من هذا المنطلق جاءت دراستنا الأنثروبولوجية بهدف الوقوف على حقيقة والأبعاد الرمزية والاجتماعية والأدوار التي تتضمنها طقوس الميلاد لدى العائلات البجاوية في ضل مجتمع معاصر لم يعد يعرف بمثل هذه الممارسات ، وعليه فإن تساؤلات الدراسة تمثلت في:

كيف يتم الاحتفال بولادة طفل عند العائلة البجاوية؟ ثم كيف ترتبط جميع تلك الممارسات والطقوس بالاعتقاد الديني؟ ثم ما هي أهم الأساطير التي ساهمت في ظهورها وتناقلها؟ وأخيرا ما هي الدلالة الرمزية والنفسية لمثل هذه الطقوس وما هي الوظائف التي تؤديها اجتماعيا؟

2. مفهوم الطقوس وأبعادها النظرية

يعرف ميسونوف J. Missonneuve الطقوس " عند الإنثروبولوجين هي مجموعة الممارسات المعنية أو المحفورة، و المتعلقة بالمعتقدات السحرية أو الدينية، وعادة ما يكون ذلك تحت وقع احتفالات ضخمة..." (07, 1988, p. Missounneuve)، كما يعرفها لوك نبوا على أنها: «سلسلة من الحركات تستجيب لاحتياجات الجوهرية، حركات يجب تنفيذها وفقا لتناسق معين.. فهي تعني ما هو مطابق للنظام (ريتا Rita) وأصلها يضيع في ليل الأزمنة، ويبقى مجهولا حتى من قبل الذين يمارسونه رغم أنهم احتفظوا به وفقا لذاكرة متوارثة» (لوك نبوا، 2001، صفحة 05)، ويعتقد J. Cazeneuve أن " هذه الممارسات هي نتاج المجتمع وأفراده الذين يعملون على الحفاظ عليها أو التخلي عنها، واستمرار نفس الطقوس ونفس الممارسات مضمون بتمسك الفاعلين الاجتماعيين بالقيم والرموز والدلائل التي تحملها" (Cazeneuve, 1971). فالطقس ليس فقط نظاما من الإيماءات التي تترجم إلى الخارج ما نشعر به من إيمان داخلي، هو أيضا مجموعة من الأسباب والوسائل التي تعيد خلق الإيمان بشكل دوري، ذلك أن الطقس والمعتقد يتبادلان الاعتماد على بعضها بعضا، فرغم أن الطقس يأتي كنتاج لمعتقد معين فيعمل على خدمته، إلا أن الطقس نفسه ما يلبث حتى يعود إلى التأثير على المعتقد فيزيد في قوته وتماسكه" (السواح فراس، 2001)، فالمعتقد " شأن جمعي بالضرورة، وهو يوضح العلاقة والصلة بين عالم

المقدسات، وعالم الإنسان الدنيوي المادي، ويرسم صورا ذهنية لعالم المقدسات والذهنيات والأفكار التي غالبا ما تصاغ في شكل صلوات وتراتيل (فخري طه نضال، 2009، صفحة 13، 14)، لهذا يرى دوركايم بضرورة وضع معايير للتمييز بين ما هو مقدس وما هو دنيوي، في معتقدات الجماعة وممارساتها، وبين المجردات والغيبيات، وأنه يجب العزل الدائم بينهما، ومنع اختلاطهما، مع ذلك فإن العبور بين العالمين مستطاع وممكن، ويتم ذلك النوع من الطقوس التي تسمى في الأنثروبولوجيا طقوس العبور أو الطقوس الادخالية، والتي يمتزج فيها المقدس بالدنيوي (فخري طه نضال، 2009، صفحة 13). تعتبر الأسطورة أيضا مصدر من مصادر الطقوس الممارسة اجتماعيا، فممارسات متعلقة بطقوس الميلاد أو تراتيل الصلاة، أو مراسم حفل زواج.. لم تأتي من خواء، بل أتت من مصدر غيبي سواء كان معتقدا دينا، أو تابعة لأساطير اجتماعية أو غيبة محفورة في ذاكرة الشعوب، تحكي ضرورة القيام بممارسات معينة، لاستبعاد شرور العوالم الأخرى أو نيل بركاتها، وذلك من منطلق حركات وطقوس تمارس يراد منها نيل البركة والتقديس والتبرك أو تكريم فرد معين، «فالأسطورة والطقس هي في الواقع التعابير المكملة لقدر واحد، الطقس فيها الصورة الطقسية والأسطورة تحقيقها خلال مراحل تاريخ عاشه الإنسان» (لوك نبوا، 2001، صفحة 96).

3. طقوس الميلاد في المجتمع الجزائري

يحتل الأطفال الأهمية الكبرى في حياة الشعب الجزائري عامة، باعتباره ثمرة زواج مقدس، لذلك يعتبر المولود مقدس أيضا، عادة ما يطلق عليه اسم "الملائكة" "الملايكة" باللهجة الجزائرية" الذي يرمز إلى أنه يبلغ مرتبة ومكانة الملائكة كونه خالي من الأخطاء والذنوب والمنكرات ويرمز للنقاء والبراءة، حيث نجد العديد من سكان الجزائر يكرمون هذه الثمرة المقدسة، وفي نفس الوقت لا يتم تكريم ولا الاحتفال ولا التبرك بمولود أتى عن طريق علاقة غير شرعية، فهو ليس ثمرة زواج مقدس بالتالي فهو أيضا منبوذ وموصوم وغير مقدس، وحتى أنه لا تقام له مجموعة من الطقوس مثل غيره من الأطفال حديثي الولادة.

حيث نجد هنا العديد من الجزائريين يلتمسون عون ومساعدة الله وملائكته ورجال الدين وحتى الروحانيون والكهنة والأضرحة لطرق أبواب الحصول و إنجاب الأطفال، كون الزوجين الغير القادرين على الإنجاب يعتبرون علة ومذلة وعاهة للعائلة خاصة بالنسبة للمرأة، كون عملية الإنجاب تلصق دائما بقدراتها وطاقاتها ولا يربطونها بالرجل إلا نادرا، وتعتبر رغم التطور العلمي والثقافي المعاصر النساء هن السبب والمسببات الوحيدة في عملية الإنجاب وحدها من جهة، ومن جهة أخرى هن المسببات في تحديد جنس المولود ذكر/أنثى، حيث عادة ما تتعرض لتنمر على عكس الرجال عند عدم إنجابهن إطلاقا، أو عند إنجابهن للإناث بدلا من الذكور، وعادة ما يتفاقم الأمر إلى طلاق الرجل للعديد من النساء بشكل متتالي بسبب عدم إثمار العلاقة بمولود، أو لسبب الحصول على الإناث بدلا من الذكور ككل مرة.

كما ننوه أن عند سكان المجتمع الجزائري وحتى العربي عموما، يحتل الذكر المكانة الأرقى بدلا من الإناث، حيث يستقبل فرح ميلاد ذكر أكثر من الذكور، وحتى تختلف الطقوس الممارسة على المولود

باختلاف جنسه، كون أن استمرار النسب والعائلة والاسم العائلي مرهون بالذكر وليس على الأنثى التي ستنتهي بعد بلوغها إلى اسم عائلة أخرى، كون الرجل هو القوام والحامل للاسم دينيا، والمتحكم والناقل للميراث والنسب اجتماعيا، ولهذا السبب أيضا تجد أن اسم المولود الجديد يرتبط بالاسم العائلي للأب وليس الأم، منذ القدم إلى يومنا هذا.

وبعد ولادة طفل لدى الشعب الجزائري، تجد العديد من العائلات أيضا، تمارس مجموعة من الطقوس أيضا لأجل اكتساب عون الله وحضور الملائكة كما تقام مجموعة من الطقوس أخرى من قبل أهل الاختصاص والخبرة لأجل استبعاد الجن أو القيام بهدنة معهم غايتها عدم تعريض الصغير لمكروه، لهدف حمايته وتحصينه والحفاظ على أرواحهم.

فالمقصود بطقوس الميلاد في المجتمع الجزائري إذن: هي مجموعة الممارسات وسلسلة الحركات المتعلقة بالمعتقدات الدينية لاستقبال المولود الجديد لدى العائلة الجزائرية سواء كان ذكرا أو أنثى، والتي يراد بها مجموعة من عمليات التبرك بالمولود الجديد وشكر الله عليه كثمرة زواج شرعي مقدس اجتماعيا ودينيا، كذا تقديمه إلى العالم الخارجي بعد أن انتقل من ظلمات في بطن أمه إلى العالم الأضي، ثم مجموعة طقوس مختلفة يراد بها استبعاد السوء والشرو والشیطان عنه، وتقريب الملائكة منه، حيث يعتقد أن كل هذه الممارسات لها علاقة بالتخطيط لمستقبل الطفل وجعله ذات مكانة حميدة وعضو صالح من بين أعضاء المجتمع، وعلى العموم فإن طقوس الميلاد في المجتمع الجزائري ذات مصادر ثلاث، أولها مكتسبة من الشريعة الإسلامية (الدين)، ثانيا من عادات وتقاليد المجتمع وثقافتها باختلاف ثقافات مجتمعات أخرى غير إسلامية أو لا تتواجد في نفس الرقعة الجغرافية، ثالثا ثقافات فرعية خاصة بكل منطقة على حدا داخل المجتمع الواحد ذات الدين والبيئة والتقاليد المشتركة، عادة ما يطلق على هذه الطقوس على أنها ذات مصدر برهان أو بركة الأجداد التي تنتقل من جيل إلى جيل كأعراف و طقوس عبر أحفاد أسرة معينة على خلاف أخرى. وهذا ما سنوضحه في النقاط التالية:

1.3 الطقوس و الدين:

فمسألة العقيقة مثلا؛ كطقس احتفالي خاص بالمولود الجديد في المجتمع الجزائري والذي يقصد منها الذبيحة التي تذبح عن المولود في يومه السابع، وهي سنة مؤكدة في الإسلام، وتكون شكرا لله على المولود، حيث تذبح شاة للمولود الأنثى لدى العائلات الجزائرية، ويذبح شاتين بالنسبة للمولود الذكر، ويحلق رأس الذكر في نفس يوم عقيقته، أو الذبيحة. ويتكرر هذه الطقوس التي تمارس لدى الشعوب ذوي الثقافة الإسلامية إلى يومنا هذا من مختلف أقطار العالم، والتي ترتبط بالمعتقد الديني، الذي عادة ما يصطبغ بطقوس مختلفة بغية التعبير عن إيمانهم الداخلي بالمعتقد، وتكرار ممارسته عبر الأجيال، كون ذلك يبعد العديد من الشرور عن الطفل ويجعله مقدس ومكرم طول حياته، وكذلك مقربا إلى الله، وعدم إحياء هذه الطقوس تذهب في الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى قد يعاقب الأسرة على فعلتها بعدم شكره

إياه، فيصب عليهم لعنته وغضبه، فيشوه المولود أو يصيبه بمرض، أو يقلل من حضه ورزقه، أو قد يقطع عنهم الأرزاق مجددا بما في ذلك المال والبنون.

2.3 الطقوس والمعتقدات:

يختلط مفهوم المعتقد الشعبي بمفهومه الأسطوري، حيث لا يمكن دراسة المأثور الشعبي بمعزل عن جذوره ودلالته، ولا يسمى المعتقد شعبيا إلا إذا ارتبط بأصله الأسطوري أو الميثولوجي، وتدل صلة الشعبية على المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي، والعالم فوق الطبيعي (الجوهري، 1993، صفحة 49). ذلك لاعتباره نتاجا لأجيال سابقة بما حملته من أفكار، ربما بما مارسته من صراع مع قوى الطبيعة وغيرها من القوى، وبما حققت به نفوسهم من تعاليم وأخلاقيات أملاها حكماؤهم أو رسلهم وزعمائهم الروحانيون (الباش حسن و توفيق، صفحة 06). «انتهى الأمر بالطقوس ... أن تجعل ما نفعله، وما نحن عليه مقدسا يستدعي أن نقوم بتضحية "بتكريس" هذه الأفعال للقدرة غير مرئية منتظرين بالمقابل عوناً وحماية ..» (لوك نبوا، 2001، صفحة 91). وتختلف الطقوس الشعبية الاجتماعية عادة باختلاف الرقع الجغرافية والبيئة المحيطة لمختلف الشعوب السابقة، وبالتالي تختلف الأساطير التي نسجت من قبل الأوائل أثناء خوفهم أو تفسيرهم لأمر معينة استطاعت أن تسيطر عليهم عن طريق الخوف والرغبة منها، فتعددت بالتالي طقوس المجتمعات التي يراد منها استلطاف القوى الخارقة التي تؤثر به أو استبعاد شرها وعادة ما تمارس طقوس أخرى لغرض نيل التقديس والبركة من طرفها، كون الأساطير الأولى التي نسجت حول مظاهر معينة، يعتقد منها أن عدم ممارستها على الشكل المطلوب من قبل الأجيال، قد يصابون بلعنة وراثية من قبل تلك العوامل التي هي ذات برهان وتأثير نفسي واجتماعي عليهم، كما يؤكد العديد من الباحثين والكتاب الكبار، «إن تفاعل الإنسان مع بيئته هو الذي يخلق استجاباته وردات أفعاله ومعتقداته... فعند المقارنة بين معتقدات بيئة وأخرى فنرى مثلا الفرق بين معتقدات بيئة باردة وأخرى حارة... فيتفاعل الإنسان معها تخلق لديه المعتقدات المتناسبة مع بيئته (الباش حسن و توفيق، صفحة 10).

3.3 الطقوس الفرعية:

تتمثل في طقوس منطقة جزائرية باختلاف مناطق أخرى، عادة ما تعزي هذه الطقوس إلى موروثات وأعراف عائلية وتستمد من تجارب الأجداد بين أفراد ذات النسب الواحد، فتشمل طقوس استبعاد الشر أو الجن الذي كان يتعقب الأجداد، فتتوارث هذه الطقوس والممارسات عبر أفراد العائلة الواحدة من جيل إلى جيل، والتي تهدف من خلالها إلى استبعاد تعقب الشر لهم والأمراض العائلية لدى الأطفال، وعادة إن لم تمارس تلك الطقوس بالشكل المطلوب، يصاب الأطفال الصغار بمرض شديد إلى درجة الإعاقة مدى الحياة عادة ما تكون جنون، أو الموت بعد صراع كبير بين المرض الموروث من الأجداد والرغبة في البقاء من طرف الطفل الصغير، تعتبر كل هذه الممارسات عبارة عن طقوس اجتماعية تمارس للعبور بين العالم الغيب و عالم الأرض والهدف منها الإبقاء على الطفل والحفاظ عليه، وكذلك كثيرا ما يستعصى

إيجاد حلول لها من قبل المختصين المعاصرين، سواء كانوا أطباء أو مختصين في النفس والمجتمع، ولا تزال بعض والكثير من هذه الأفعال التقليدية ذات برهان قوي على الحياة الاجتماعية لدى مختلف المجتمعات والعائلات.

هذا ما دفعنا إلى القيام بملاحظة بالمشاركة لبعض مناطق في مدينة بجاية لوصف الظاهرة كما هي، وإظهار عمق رمزيها ودلالاتها النفسية والاجتماعية من قبل ممارسيها على السواء.

4. طقوس الميلاد دراسة بالمشاركة للعائلات البجاوية

1.4 إعداد الأم لعملية "الإنجاب" (Arvou n tmatouth) :

يستقبل سكان ولاية بجاية، عملية "ميلاد طفل" (Thalalithe Etoufan)، بالكثير من الطقوس والممارسات الاجتماعية المشحونة بفرحهم لهذه العملية الحياتية الكبرى، يختلف عادة فرح استقبال الذكر بالأُنثى، شأنهم شأن جميع الدول العربية، سواء كانت جماعة حضرية أو بدوية..

فتستعد العائلة " (Thawacholt) لاستقبال هذه الثمرة الجديدة، إذ تهئ المرأة (Thamtouth) من قبل قبل أمها (Imasse) أو عجوزتها كما يطلق عليها باللهجة الجزائرية والتي تعني أم الزوج (Thamgharthis)، بالكثير من الطقوس المحلية، لتهيئها لعملية الولادة (Tharawthe)، من باب الاعتقاد أن لهذه الطقوس تأثيرها السحري في جعل عملية الولادة سهلة، وجعل نزيف الولادة قليل، كما تحفظ الأم والمولود من الشيطان والموت والحسد والعين. ف«تغتسل الأم قبل ذهابها إلى الولادة، كما تقدم لها أشهى الفواكه أو المأكولات التي قد تتلفظ بها وتقع عليها عينها أو حلمت بها، حتى ولو صعبت عملية الحصول عليها، خوفا من أن تخرج شكل الأكل أو الفاكهة مطبوعة في جسد الرضيع، لعدم تحقيق رغبة أمه قبل الولادة (مسعودي، 2020)، حيث أن شكل الثمرة أو الأكلة يخرج في المنطقة التي تحك أو تضع فيها الأم يدها أثناء وحمها، وتؤكد أنها حقيقة واقعية، رغم عجز الطب الحديث عن تأكيدها» (مسعودي، 2020). كما «يقدم للأم (Thaymat) زيت الزيتون (Zithe ntzmourthe) والعسل الحر (Thamamet) والحليب (Ayefeki) والتين المجفف (Ifssassen) أو ثزارث (Thazareth)، كذلك التمر (Etemar) أوتفرزايث (Tafrzayet) إلى جانب العديد من الأعشاب الطبيعية والمستحضرات العشبية والمياه المرقاة بآيات قرآنية، التي تصب كلها في الاعتقاد بأنها من أروع التطبيب التقليدي الذي يجعل الأم قوية وصبورة، ويخرج لهم طفل قوي وسليم من كل الأمراض، أما الرقية ودعوة (أم الزوج) (Thamgharthis) وأمها هي (Imasse) ... تدخل في اعتقاد بركتها لتخفيف ألم المخاض (Adoudhe)، وتسهيل عملية الولادة، وكذا إبعاد أعين الحساد؛ من الجيران والأقارب أو النساء العاقر التي يطمعن للإنجاب، ولم يحدث لهن ذلك بعد» (مسعودي، 2020). بعدها «تنقل الأم لوضع طفلها في أرجاء وأحضان المنزل العائلي المقدس، بالكثير

من الزغاريد[§] (Ililawan) التي ما إن يسمعها الجيران والأقارب وسكان الحي، مباشرة يدركون أن للمنزل الفلاني، فرح ما: إما ميلاد طفل أو زواج وخطوبة...» (مسعودي، 2020).

2.4 عملية الولادة أو الإنجاب (Ataf S-wadodhe):

«لم تعد عملية الإنجاب تقام في المنازل بين أيدي نساء وعجائز البلدة ذات الخبرة، التي يطلق عليها البجاويون وأغلب سكان مناطق الجزائر ب"القبالة" (Elkabla)، أي التي تقابل المزيود وتخرجه إلى النور من بطن أمه» (مسعودي، 2020). بل أصبحت عملية الولادة حاليا تتم في المستشفيات سواء الحكومية أو الخاصة، بعد تطور الطب الحديث، بدفع مبالغ مالية معينة تختلف باختلاف عدد الليالي التي تمكث فيها المرأة الحامل التي ستضع طفلها، وبعد التأكد من وجود الجنين (Eltoufan) في وضعية الرأس إلى الأسفل، وهذه العملية كانت تتحسس وتتكهن بها القبالة المختصة التقليدية سابقا عن طريق التجربة والموهبة الموروثة، وكانت حتى تتعرف عن جنس المولود إن كان ذكر (Akchich) أو أنثى (Thakchicheth) بعد فترة من تشككه في بطن أمه (G3abot ymasse) عن طريق التحسس بيدها فوق بطن الأم، ولمس مناطق معينة، أما الآن فإن ذلك فيتم من خلال الصور الأشعة الطبية الحديثة، فتستعد بعدها الأم لعملية الولادة بالاسترخاء والتنفس العميق والمستمر وشرها للعديد من السوائل الساخنة التي تساعد على الدفع وإخراج الجنين من بطنها.

بعد تمزق الكيس المائي مباشرة (Thesskiya)، وإحساس الأم بألم المخاض (Loja3)، فيقال على "المخاض" عند العائلات وسكان بجاية بأن المرأة (Thataf Swadodhe)، فتوضع مباشرة في وضعية ملائمة ومريحة، وفي السابق كثيرا ما توضع المرأة معلقة وتتمسك بحبل إلى فوق عن طريق يديها، لتسهيل عملية الولادة، أم حاليا فيكفي استلقائها على سرير مائل مع وضعية جلوس مريحة مع فتح رجليها ما أمكن، ثم تقوم بالدفع بمساعدة عملية التنفس العميق، إلى غاية ظهور رأس الجنين تحتها، فتقوم القبالة سابقا والأطباء حاليا بمسح على رأس ووجه الطفل كذا أنفه وفمه خاصة بقطعة من قماش لينة، لنزع أي حواجز ودم أو غلاف قد يؤدي إلى اختناق الطفل قبل خروج جميع أطرافه، ثم يستمر خروج الطفل ببطء بمساعدة القبالة أو المختص في المستشفى مع وجوب تخفيف الأم من قوة الدفع بعد خروج الرأس مباشرة حتى لا يتمزق جلد المرأة وتعرض لنزيف يصعب توقيفه.

§ (الزغاريد: مشتقة من كلمة زغرد في اللغة العربية، ويعني رفع النساء لأصواتهن في الأفراح لأجل التعبير عن السعادة المفرطة، وأصل زغردة من البعير، أي ترديده الصوت في حلقة وهديره به، والزغردة بالعامية هي الحجرة وتعبّر عن إخراج الصوت من الحلق بانسجام وتواتر معين لغاية تشكيل لحن متسلسل ومتناغم، حيث يقمن العديد من سكان الجزائر بما في ذلك نساء منطقة بجاية بإطلاق الزغاريد لأجل التعبير عن وجود فرح داخل البيت سواء كان ميلاد طفل أو زواج أو إيجاد عمل، وكان يستخدم في وقت الحرب والاستعمار لتعبير عن استنهاد أحد أفراد العائلة وبلوغه مرتبة الشهداء والمغفورين لهم عند الله عز وجل، عندما يموت مقتولا من قبل الاستعمار.

بعد الخروج الكلي للمولود يتأكد من سلامة الطفل غالبا عن طريق رؤيته يتنفس، وإخراجه لصيحة أو صراخه الأول (La3yat Amzwaro)، بعد دخول كمية من الأكسجين دفعة واحدة إلى جميع شرايينه (Ghizouranisse) وجسمه لأول مرة في حياته، ثم يتأكدون من تحريكه لقدميه وذراعيه مباشرة، يقومون بطمأنة المرأة أن طفلها سليم.

تأتي مباشرة مرحلة قطع الحبل السري بعد أن يتخذ الحبل اللون الأبيض ويتوقف النبض والدم فيه دليل عن انفصاله من أحشاء ورحم الأم، حتى لا تتعرض الأم إلى نزيف داخلي مميت، فيقطع الحبل بعد قياس القابلة سابقا لشبر و4 أصابع (Thardasseth d 4 ltoudhan) بالقرب من سرة المولود (Thimit Ltoufan)، كما يحدث في المستشفيات حاليا، ثم توضع القابلة سابقا للحبل الملتصق في بطن الطفل بشده بخيط أو قطعة قماش ثم "لفه على بطنه" (Ataknith Fthe3abotis) حتى لا يتدفق الدم من خلاله ويتعرض الطفل للنزيف ثم الموت مباشرة، أما حاليا فعملية سد فوهة الحبل السري للطفل تتم بآلة خاصة ثم تترك لمدة ثلاثة أيام وقت يحين يبس الزيادة من الحبل وتراجع على شكل عقدة فوق بطن المولود لتمثل سرتة، وبعد برهة يتساقط اللحم اليابس الزائد وتشفى المنطقة لتقائما من خلال وضع الأم أو الجدة لزيت الزيتون بشكل يومي ومستمر لمدة معينة.

بعد قطع الحبل السري ولفه أمام بطن الطفل، والتأكد من عدم تعريض الطفل للنزيف أو أي خلل من خلاله، تنتظر القابلة سابقا لبضعة دقائق بعد الإفراغ من عملية غسل الطفل وضربه ببطء على ظهره، وإرجاع رأسه إلى أسفل، كي يتأكدون من سلامته وتنفسه بشكل طبيعي، يقومون بنزع المشيمة من الأم بعد التأكد من انفصالها الكلي من رحمها وأحشائها، وهي بقايا الدم (Enfas) و الحبل (Amrar) واللحم (Akssoume) كذا الفضلات التي كان يتغذى بها الطفل في الرحم، تدعى المشيمة أو (Isthemas) Ltoufan أو (Thisnafa) عند البجاويين (سكان مدينة بجاية في الجزائر).

والمشيمة حاليا ترمى في المستشفيات، أما سابقا فكان يتم الحصول عليها من قبل أعز الأفراد المقربين للمرأة المنجبة، فيتم دفنها (Atematelane) في مكان بعيد لا يصل إليه البشر ولا الحيوانات مثل الكلاب والقطط، خوفا من أن يتحصل عليها أحد الأعداء فيقومون بسحر المرأة عن طريق بقايا الحبل السري، ودم النفاس، إذ غالبا ما يقومون بعمليات السحر والشعوذة لتخريب الحياة الزوجية أو منع الإنجاب مجددا للمرأة عن طريق دمها وبقايا عملية الإنجاب.

3.4 استقبال الرضيع (Aheyi neltoufan)

بعد عملية الإنجاب «يستقبل الطفل من طرف جدتيه وونساء المنزل بالزغاريد الدالة على وجود فرح، ويقدم إلى أعمامه وأخواله فيأذن أي رجل أو ذكر معروف بأخلاقه لديهم في أذنه اليمنى، وتدور عليه العجايز الكبار لممارسة عليه بعض الطقوس الاجتماعية وأخرى عائلية.. حيث بعد استقباله مباشرة يوضع له العسل الحر (Thamamet) على شفاهه ليمص فيه، كرمز ليحب كل ما هو جميل و تعسل

أيامه المستقبلية ولا يكون تعيس ومكروه، إلى جانب الحرف (Elharef) أو حبة الرشاد بنية وقايته من الأمراض أو تقليله للجروح الخطيرة عند السقوط في بدايته للمشي أو الحبو. « (عجوزة في 87 سنة، 2020). و (فرشولي، 2020) و (مسعودي، 2020).

4.4 اسم المولود (Issem Itoufan):

حاليا يقدم اسم أولي للمزيد كي يسجل في المستشفى حيال حصول عملية الإنجاب مباشرة، رغم أنه في السابق كان الاسم يحدد رسميا في اليوم السابع بعد تشاور مطول لجميع أفراد العائلة الكبيرة، و تقول أحد عجائز قرية أميزور ولاية بجاية في هذا الجانب: يسمى عادة المزيد؛ (Eltofouan) على: «اسم الأموات المفقودين في العائلة، والذين لم يحضروا رؤية المولود الجديد.. لإعادة إحياء روحهم بينهم، كنوع من التعبير للميت أن عائلته لم تنساه، فيحضرها هذا الطفل المسمى بأسماء الأموات بمعاملة خاصة، وحب أكثر من المعتاد أو أكثر من أولاد العائلة التي لم يقبل آبائهم بتسميته باسم الأموات، كما قد يحضر بالكره التلقائي من هؤلاء الأفراد الذين كانوا يكرهون المرحوم، فيكرهون أو يحبون الطفل على اسمه أكثر من ميلاده (مسعودي، 2020). (فرشولي، 2020)، أما حاليا فإن هذه العادات والتقاليد كثيرا ما تذهب إلى التلاشي، كون الأبوين يقومون بتسمية المزيد في المستشفى على اسم أحد المفقودين لديهم، أو مع اسم أحد المفقودين مع زيادة اسم عصري صغير، كون الأسماء التقليدية لم تعد حاليا موضوعة وكثيرا ما يتلقى الطفل للتنمر مستقبلا في المدرسة ومن زملائه على أساسها، وكثيرا ما يقوم الأبوين بتسمية المولود باسم تقليدي لإرضاء الجد والجدة في المستشفى، إلا أنهم يقومون باستبداله بأسماء معاصرة وصغيرة بعد انتقالهم إلى تسجيله بشكل رسمي في البلدية، وكثيرا ما صدفنا أن المزيد الجديد يطلق عليه حمامة (وهي أنثى ذات اسم تقليدي) إلا أن بعد تفقد سجلها والدفتر العائلي تبين أن اسمها (لينا حمامة)، وطفل أخرى كان يلقب من طرف كل العائلة ب (أيوب) إلا أن بعد تفقد أوراقه الرسمية تبين إلا أن اسمه (زياد)، وطفلة أخرى كان تلقب من الجميع باسم صارة إلا أن بعد فترة تبين إلى أن اسمها الرسمي في الأوراق كان (ثفسويث) حتى أخواتها كانوا يجهلون ذلك.

5.4 أما مراحل طقوس الميلاد فيمكن تلخيصها في:

1.5.4 الليلة الثالثة من ميلاد الطفل:

« تخرج صدقة على شكل طعام لعائلة المزيد من طرف عائلته في ولاية بجاية، وذلك بجمع كبار العائلة والأقارب من أحوال وأعمام الصغيرة، فيعدون طبقا من الكسكس بالدجاج (Sokssso obissar) كما يقومون بإخراج بعض الصحون للجران المقربين، صدقة على الطفل الجديد، ثم يحنى الطفل من طرف جدتيه على يديه ورجليه ليلا، حتى تتقرب منه الملائكة ويكون مقدس، كما توضع جرح خفيف

(Thicherate)** على جبهته وواء أذنيه، فتضع عليهم بعض الأعشاب الطاردة للأرواح الشريرة، كما تثقب أذنه إن كان ذكر، أو أذنين إن كانت أنثى... (عجوزة في 87 سنة، 2020) حتى لا يستبدله الجن لهم كما تقول الأسطورة، التي قصتها أحد القابات على الأمهات البجاوية، حيث أكدت القابلة، أن أثناء إنجاب أنثى الإنس في نفس الوقت وبالتحديد تنجب أنثى الجن، نفس المولود، سواء ذكر أو أنثى، إذ حكى الأسطورة أن إحدى القابات ذهبت لتوليد أحد النساء في الليل، وأثناء عودتها، تلقت رجلا في طريقها يشبه زوجة المرأة التي أنجبها وفي نفس مواصفاته و سنه، يترجاها أن تساعد زوجته على الإنجاب، لتجد نفسها في قصر كبير كأنهم من عالم ثاني، إلا أن القابلة قضمت خوفها وقامت بالتوليد السيدة الثانية، وقدمت لها ابنا، ثم همت بالرحيل. إلا أن ذكر أنثى الجن لم يكف عن البكاء والصراخ، فغضبت أمه فطلبت من زوجها استبداله بابن أنثى الإنس، إلا أن ابن أنثى الإنس لم يكف عن البكاء أيضا، فانزعجت مجددا أنثى الجن، فطلبت من زوجها إحضار القابلة مجددا، لتشخص مشكلته. وعندما استدعى نفس القابلة، مباشرة تعرفت أن الابن الموجود ليس لهم، بل للمرأة الأولى التي قامت بتوليدها، فعرفت من ممارستهم أنهم ليسوا بالإنس، لذا طلبت منهم إحضار أشياء من الأعشاب حتى يغادروا المكان، وعند خروجهم أدخلت إبرة في أذن الولد فأخذ يصرخ بشدة كبيرة من الألم، وبعد عودة الأبوين قالت لهم أنه عادته البكاء لأن أذنه مثقوبة. لهذا طلبت الأم الجنية مجددا من زوجها إعادة ابنها الأول الذي لم تثقب أذنه. وبقيت العادة في ثقب أذن الطفل أو كلاهما للطفلة، كي لا يستبدله الجن، كون الجن لا يأخذ من ذلك الوقت أي طفل مثقوبة أذنيه» (فريدة 82 سنة، 2021).

-«أما الحناء (Lhani) : رمز لإبعاد الشر والشيطان وتقريب الملائكة؛ فالملائكة تحب الحناء لهذا فهي تحضر للطفل وتحب رائحته فتبعد عليه الشر وحسد البشر، كذا لاستبعاد الجن الذي قد يصيبه وخاصة الذي يأتي دائما في الليل كما تقول الأسطورة لغرض التلاعب بالصغير وأحلامه وإخافته وتهلكيه» (فرشولي، 2020) و (مسعودي، 2020). كما «توضع أيضا لأم المولود الحنة في ليلة يوم إنجابها؛ في رأسها وقدميها ويديها لإبعاد الجن التي قد تتجمع على ضعفها، والتي تحب لرائحة النفاس، فالحنة تغير من رائحتها كما تقوم باستحضار الملائكة إليها عن طريق جذبها برائحة الحناء المقدسة، ثم ستبعد عليها الحسد والمرض» (عجوزة في 87 سنة، 2020).

- كما «تغلي الجدة الكمون و الحرف أو حبة الرشاد (Elharef) (Elkamoun) ليقوم الطفل بشربه، لتخليصه من الغازات التي قد تؤذيه، كذا إخراج الهواء الذي تعرض له بعد خروجه من بطن أمه

** (نيشراط: هو عبارة عن جرح خفيف تقوم العجائز بوضع موس حلقة حادة فوق منطقة معينة من جسد الصغير، لأجل استخراج قطرات من الدم ثم وضع مجموعة من الأعشاب الصحية فوقه بهدف الشفاء السريع، حيث يعتقد بأنها الطريقة الأنجع للوصول لمفعول الأعشاب لجسد المريض، وهي أشبه بطريقة الحجامة التقليدية التي كانت تمارس من قبل الرقاة وذات الخبرة على الأشخاص لأجل تخفيف الآلام واستخراج الدم الفاسد من الجسد.

مباشرة ، حتى يكون صحيا وسعيدا وغير مروع » (مسعودي، 2020).. وتقول إحدى العجائز أن هذه العملية كانت تمارس من قبلهن ومن قبل أمهاتهن قبل اكتشاف الطب النسائي الحديث الذي أصبح اليوم يؤكد على ضرورة شرب الكمون لتخليص الطفل من الغازات في بطنه (عجوزة في 87 سنة، 2020).

- كما تضع الجدة: «كحل أسود (Lkehoul Abarekan) والقطران على عيون الطفل وحواجه في يومه الثالث بقلم رصاص أو شيء رقيق حتى يخرج حواجه ورموشه سوداء وتعتقد نفس العجوز السابقة أن اعوجاج يد الجدة عند رسمها على حجب الطفل، سيخرج الحجب معوج وكثيفة في المستقبل؛ مثل ما حدث مع إحدى حفيدتها في يومها الثالث من الولادة بعدها يدهن رأسه بالزيت الزيتون وجميع جسده لترينه من جميع الآلام » (مسعودي، 2020). (فريدة 82 سنة، 2021).

كما أن هناك عادة أخرى، تدخل في طقوس الميلاد، بعد تساقط الزيادة من لحم الحبل السري للطفل في يومه الثالث، تقوم الجدات بوضع 5 دنائير جزائرية الكبيرة الحجم على صدرته (Thimitte)، منعا منه من خروج سرته إلى الخارج، وحتى يكون له مظهر لصدرته جميل في المستقبل، أما الزيادة من الحبل المتساقط يتابعونها الأهل باهتمام وملاحظة دائمة كي لا تسرق من طرف الحساد أثناء سقوطها، إذ عليهم بجمعها في قطعة قماش بيضاء طول حياتهم، لأن حصول الأعداء على شيء من لحمه وخاصة صرة الطفل المقدسة لارتباطها برحم الأم وارتباط عملية شد الأولاد في داخلها عن طريق حبل الوريد، أين يمكن أن يمارسون عليه نوعا من الشعوذة والطقوس السحرية، التي يكون هدفها قتل الولد الجديد أو تدمير حياته إلى جانب جعل الأم لن تنجب مرة أخرى.. (فاطمة و سنة، 2020)، (فرشولي، 2020).

2.5.4 طقوس كل أسبوع. تضع الجدة أو العجوز الأكثر خبرة وذات البركة في ولاية بجاية في ليلة كل أسبوع يمر على الطفل (السابع، الرابع عشر، الواحد والعشرون، الثامن والعشرون، الخامس والثلاثون) «الحناء مع قطعة سكر وبعض الملح إلى جانب 7 حبات من الحمص ثم تخلطهم مع بعضهم في كوب (حيث يحتفظ بهذا الكوب إلى غاية الأربعين يوم)، لتضعه على جهة الرضيع والأم على شكل شرطة (خط أفقي صغير يتجه نحو القبلة)، وعلى كفي الرضيع وبطنه وأرجله، كما تضع كوبا من الماء أو قرورة صغيرة بعد تحنية الطفل أمام مكان نومه، لتبيت معه حتى الصباح، أين يرمز الملح لإبعاد الشيطان والروح الشريرة، كونها تخاف من الملح، وحتى يكون أيضا الطفل "مليح" ولديه "سر" أي مهضوم بالعامية إذ يلقب الشخص الجميل أو الجذاب في بجاية ب أملاحان (Amelhan) أو أمسرار (Amsrar)، أي زايد فيه سر الجمال وجذاب أو الملح... أما الحناء فترمز إلى جذب الملائكة؛ لأن الحنة مقدسة يحبها الله والملائكة، فتبعد الشر بحضورهم، كما يرمز إلى سيع الطفل مثلما يسبع الحناء في الجلد، فلا يموت، أما السكر حتى يكون الطفل محبوب وعسلي ومسموع الكلمة وكبير الشأن في المستقبل... وبعد سبع لون الحناء في اليوم التالي، يغسل للطفل في مكان نظيف، ويدخل الحناء المنزوعة منه في كوب الماء أو القرورة التي تم تبيتها أمامه، ثم تأخذها الجدة إلى مكان نظيف وفيه أزهار وشجر لترمي.. حتى يعيش ويترعع

الطفل وينموا.. كما أن تقديسهم لهذه الطقوس لا يتركهم يرمونها في مكان نجس...» (فاطمة و سنة، 2020)، (مسعودي، 2020).

3.5.4 طقوس وعقيقة الطفل في اليوم السابع في بجاية (Essaba3/ Sbou3) . تقام طقوس

تختلف بين الذكر والأنثى، حيث يذبح للفتات شاة ويصدق على جميع الجيران والعائلة على البنت لهدف إخراج صدقة عليها، وضمان ولائها، وطاعتها وحبها لهم. كما يذبح للذكر شاتين أو خروفين باعتباره رمز العصبة بجمع أيضا جميع العائلة والأحباب لإطعامهم كصدقة لهدف ضمان ولاء الذكر وطاعته وحبهم لهم وتحمله للاسم العائلة. إحياء لثقافة الإسلامية، والعمل بالحديث الشريف. كما يحلق رأس الطفل في نفس اليوم إن كان ذكرا، ولا يلحق رأس الأنثى، كما يحدد رسميا الاسم الرسمي للمولود باختلاف جنسه، ومن ثم تقرر العائلة هل يتم الاحتفاظ بالاسم الأول الذين قدموه للمستشفى، أو يتم زيادة اسم معاصر وصغير عليه عند تسجيله رسميا في البلدية، أو يقومون بتبديل الاسم كليا إلى أحد أسماء جديدة ولطيفة دون إخبار أبويهم الذين يريدون أن يلقب الطفل بأسماء الموتى المفقودين، إلا أنه في الكثير من الأحيان ما يبقى الاسم الأول الذي قدموه في المستشفى هو الذي يطلق على المولود من قبل العائلة والجيران والزملاء طول حياته، أما السم الثاني الذي قدموه للبلدية، فيتعامل معه فقط في المدرسة أو في الأماكن التي تتطلب كل الرسمية في المعاملة.

4.5.4 طقوس اليوم الأربعين (Rab3inyoum): في آخر طقوس الميلاد، يحنى الطفل في ليلة

دخول الربيعين يوم بإنائه الذي فيه الحنة والملح والسكر و 7 حبات من الحمص مجددا، وينام أمام قارورة من الماء كالعادة التي يمارسونها له كل أسبوع، وفي صباح يوم الأربعين، يستيقظ الطفل، ويؤتى بعجوز ذات خبرة، تأخذ كل حبة حمص مطلية بالحناء وترسم أشكالا معينة على جهة الطفل ووجهه كذا يديه ورجليه، وتقوم عند أخذ كل حبة بالدعاء على الطفل حتى يتعد عنه الشر والحسد والعين ويكون طفلا صالحا، وذلك بالاستعانة بسورة الفاتحة وسور الناس والفلق، وتكرر الكرة حتى تنهي جميع حبات الحمص السبع، وتكون بذلك أنهت تحصين الصغير وترقيته من الحسد والشرور والمرض.

ثم يأخذ الطفل مجددا وتأخذ العجوز إسقان (Iskane) ⁺⁺ الذي هو حبل عشبي يصنع من عشبة إذلس (Idheles) المعروف لدى سكان المنطقة، فيقطعون 4 أحبال صغيرة في طول شمعة بيضاء، فتشعل العجوز كل غصن أو كل فتيلة (Thafethilet) من السقان فوق جسد الطفل وتقوم بدوره عليه سبعة مرات مع تكرار الدعاء الذي تقوله أول مرة وتعيد الكرة في جميع الفتيلات الأربع، وكل مرة تقوم بإطفاء الفتيلة المشتعلة داخل قارورة الماء التي باتت إمام الصغير طيلة الليل وتدعى هذه العملية بـ ثعيارث

⁺⁺ إسقان (Iskane): يصنع من العشبة الحبلي أو عشبة الحبل باللغة العربية، ويطلق عليها إسقان ما يعني الحبل المصنوع بالعشب المسمى إذلس (Idheles) بالقبائلية، وهو عشبة طويلة ورقيقة كثيفة قوية وصعبة الكسر رغم ليونتها، تنمو في المناطق التي تكثر فيها المياه والأرض الخصبة، يستخدمها سكان الأرياف والفلاحون سابقا لربط بها المحصول من القمح والفول.. إلخ.

(Tha3yareth) ، وبعد إنهاء من العملية يغسل الطفل/ة ويحمل الماء الذي فيه الفتيلات مع الحناء وحببات الحمص السبع التي تم جمعها طول الأربعين يوم ، فيقومون بالتخلص منها في الشارع أمام مكان نظيف أو أمام شجرة معينة، حتى تحمل معها الهم والأمراض وسوء الطالع الذي قد يتعرض له الطفل، بغرض الحماية.

بعدها يتم إخراج الطفل للعالم الخارجي ورؤيته للنور وتحديد مستقبله (فاطمة و 57 سنة، 2020). حيث يكحل الطفل في عينه بكحل تقول الجدة، أنه كحل مقدس من مكة المكرمة، والذي يوضع رمزا لاستبعاد الحسد عند نظر الناس إليه، ويخرج الطفل سواء أنثى أو ذكر بعد أن تعلق الخمسة الفضية^{§§} (يد خماسي الأصابع مصنوع من الفضة يعتقد أن له قوة سحرية في إبعاد الشر والحسد والضرب بالعين والجن)، يحمله المتدين أو المثقف من رجالهم، حتى يتأثر بشخصيته في المستقبل، بعد أن يضعون داخل لباسه أو جيبه قلم وكتاب كذا فأس صغير رمز أن يكون رجلا أو امرأة في المستقبل تحب العلم والعمل والجهاد والجن. وبعد أن يرو سكان الحي الطفل حتى يدركون أنه يخرج لأول مرة لهذا فمن الواجب عليهم أن يقدموا له "ناعياشث" (Tha3yacheth)^{§§} ليعود بها لأمه لتشتري له به شيء من الذهب أو الفضة وتجمعه له طول حياته... كتذكره عن خروجه الأول للشارع. تزيد المرأة قائلة في أيامنا هذا وبعد تطور العلم والمجتمع لم يعد البعض يضع الفأس وإنما أصبحوا يضعون القلم في جيبيهم.. ليخرجوا متعلمين ومثقفين في المستقبل... وأنا أولادي الأربع وضعت لهم جميع أقلام إناث وذكور... وكلهم مثقفين وعلماء... إلا أنهم عمال مؤقتين... اليوم ندمت.. لو عرفت هذا لوضعت لهم القلم مع الفأس: حتى يتعلموا ثم يعملون لجلب مصروفهم في جل الأعمال الممكنة عند الحاجة (فاطمة و 57 سنة، 2020).

5.5.4 تقول بعدها الأم في آخر طقوس الميلاد يوم الأربعين، لا تستحم الأم في السابق إلا بعد يومها الأربعين من الإنجاب، لأن جسدها لا يزال مريض وعليه أن يكون دافئ، ولا يدخل لها الماء والبرد والريح أبدا، أما اليوم يستحمون في يومهم الأول من الإنجاب وهو أمر مضر لصحتهم، ثم يعد لها من قبل العائلة العديد من البيض المنفوخ "ثحبال" (Thihebal) لتأكل منها حتى تشبع، مع الكبد (Thassa) ، وإن لم تشبع في يوم الأربعين... تبقى جائعة وهزيلة وغير صحية طول حياتها، أكل البيض خصيصا يستخدم

§§ (هي نوع من الحلبي المصنوعة من الفضة على شكل يد إنسان ذات خمسة أصابع ملتصقة ببعضها، صغيرة أو متوسطة الحجم، تعلق على الأطفال الصغار وحتى الكبار بنية استبعاد الحسد والمكروه، وهي وسيلة للوقاية من الشر والعين الحسود التي قد تصيب الطفل أو الشخص الناجح أو الكامل أو الجميل أو حتى الغني. يقوم الأهل عادة بتعليقها في الملابس الطفل الصغير فوق صدره أو داخل ثيابه كي تدفع عنه الأرواح الشريرة التي ستتكفل بإيذائهم وتعقبهم غالبا.

§§ (ثعياشث: هي مجموعة من الأوراق النقدية أو الدنانير التي يتحصل عليها الطفل في يومه الأربعين عند أول خروجه من البيت، من طرف كل من رآه، ويمكن لثعياشث أن تكون حلوى وهدايا أو ملابس معينة.

لهدف تعويض الأم لعملية الدم الذي فقدته طول أيام النفاس، وحتى يكون الحليب وفير لطفلهم (عجوزة في 87 سنة، 2020). (فاطمة و سنة، 2020).

5. نتائج الدراسة

نلاحظ من خلال ما سبق، كيفية ارتباط أي طقس من الطقوس بمجموعة من الحركات التي لها رموز ذات دلالات ومعنى، حيث يرمز الحناء للملائكة، والملح للجمال، والعسل للخير وصلح حياة الكائن البشري، كما يعتبر ثقب أذن الطفل رمز للتفريق بين ابن الجن وابن الإنس، وضمان عدم استبداله. كما أن الملاحظ أيضا ارتباط كل الطقوس والرموز والممارسات، سواء بقصص دينية وأحاديث نبوية (السنة في العقيقة مثلا)، أو بأساطير معينة يعتقد بها ويجهل حقيقة صدقها أو صحتها إلا أنها تلعب دور في توجيه أفعالهم الاجتماعية وتحديد عاداتهم وتقاليدهم.

تعتبر أغلب الطقوس الممارسة، عبارة عن فعل اجتماعي لسكان البجاويون محل الدراسة، والتي استطاعت أن تعكس من مجرد اعتقاد ديني أو غيبي مركزه الإيمان في القلب والمتعلق أساسا بوجود حديث نبوي أو قرآني صحيح، أو يتعلق بالاعتقاد بأساطير من عالم الجن والغيب، صدقها الأفراد القدامى بها عن طريق المشاركة المباشرة لتلك الأساطير والأحداث التي حصلت بين العالم الفوقي (الغيب) والعالم الأرضي (البشر)، وأدى انتقال الحكاية وسردها وتميرها من جيل إلى جيل عبر أفراد الجماعة الواحدة، إلى تشكل اعتقادات حول أساطير معينة، جزأه دال اجتماعيا وجزأه الثاني يصعب التحقق من صدقه ومن حقيقته، إلا أنه يلعب دور بالغ في عكس هذه الاعتقادات المرسخة في القلب والعقل البشري، إلى مجموعة ممارسات وطقوس وأفعال يشترك مختلف الأعضاء الجماعة حولها، ويمارسونها بالشكل اللازم والمطلوب مثل أجدادهم القدامى. وباعتبار أن أغلب الثقافات من خاصية غير مكتوبة وغير مدونة وبل تنتقل عن طريق الحكايات والسرد وتكرار إحيائها والممارسة، ذلك الشيء الذي جعل الجانب الشعبي الاجتماعي للثقافة مجهول المصدر ومجهول المصدقية، إلا أن له دور اجتماعي في توحيد الرابطة الجماعية والأسرية وتوحيد الفعل الاجتماعي بين أفراد المجتمعات الوحيدة، كذا التمييز بين الثقافات والموروث الشعبي بين مختلف الشعوب، في عصر اجتاحت العولمة كل المجالات ووحدت الهندام والأشكال والبناء والكثير من الأفكار والممارسات.

و يبقى الدور الأهم لهذه الطقوس ليس غرضا في تحديد مصداقيتها من عدمه، أما الأهم أنها تلعب دورا في تحديد هوية الأمم والحفاظ على وحدة الجماعات والثقافات وحمايتها من الاستعمار الثقافي والاندثار.

كما تلعب الطقوس التي تجمع مختلف المجتمعات بما في منطقة الدراسة دور في التلاحم الاجتماعي وإعادة ربط الروابط الاجتماعية، ولم شمل أفراد العائلة في لحظات معينة، وتعزيز الزيارات والتقاء الأقارب لمشاركة فرد ولادة فرد جديد إلى العائلة، إزاء تغير حاصل في المجتمع الجزائري أدى إلى التفكك والتباعد الاجتماعي وقلة صلة الرحم والتقاء الإخوة والأحبة، بالتالي فتكون هذه الطقوس مناسبة لجمع

جميع أفراد العائلة في فرصة يتم تبادل فيها مشاعر الأخوة والتضامن والحب وحتى فرصة لتصفية العديد من الخلافات العائلية القديمة بين مختلف الأطراف.

والملاحظ أيضا، عمق ذلك الجانب الصحي لهذه الممارسات، فمختلف المواد والأعشاب التي توضع للطفل هي ذات مفعول صحي غير مضر وشافي للطفل، تقوم على التفريق بين الأعشاب الطبية التي اكتشفها الطب الحديث، وبين الأعشاب الضارة، وحتى أن القيام بتلك الممارسات مثل الحناء أو الملح أو عشب معينة، فهي لا تقام اعتباطا أو بصورة عشوائية، وإنما يقيمها أناس كبار في السن ذات خبرة، حيث تتطلب العملية مقدار وكمية معينة من الملح أو العشب أو الحناء، كون الزيادة أو النقص فيه قد يضر المولود، وهذا يدل على ارتباط الممارسات والطقوس في حقيقتها بما يسمى بالطب الشعبي التقليدي، الذي له الدور العظيم في محاربة الأمراض والعدوى للصغار سابقا وإكسابهم مناعة ضد الجراثيم والمكروبات.

6. خاتمة:

أن لكل شعب من الشعوب، ثقافته وتراثه الخاص (طقوس، رموز، أعراف، قيم..). حيث ترتبط هذه العادات والتقاليد بمعتقدات وأساطير اجتماعية و دينية وغيبية كانت أو موروث شعبي متناقل، حيث لا يسمح بالتعدي عليه من قبل الأعضاء الذين ينتمون إليها، فهي تمارس نوعا من الضغط والإكراه على حسب تعبير دوركايم. هذه الممارسات المتناقلة عبر الأفراد والجماعات من القدم إلى يومنا هذا، كونها ترتبط بمجموعة رموز ذات دلالات معنوية تعيد ربط الفرد بتاريخه الثقافي العريق. قد أشار في هذا الصدد العديد من العلماء والباحثين، أن مسألة الفعل، كتقليد يمارس، أو كطقوس جماعية وفردية، سواء كانت دينية أو متعلقة بقوى غيبية، تقوم على مفارقة جد معقدة استطعت ربط ماضي المجتمعات وحاضره، وتركت لا مجال للتغير أو التشكيك في صحة تلك المعتقدات والتقاليد، بل ضرورة الحفاظ عليها، والحنين لها والاندفاع لها من قبل الأفراد في شتى حياتهم وأمورهم، ذلك عن طريق الرموز المتجسدة في تقاليد المجتمعات وعاداتها الموروثة من القدامى، كون أن كل تقليد كطقوس ميلاد كلها عبارة عن اعتقادات معينة متناسقة تحكي أسطورة يراد إحيائها من خلال أفعال معينة، هذه الأفعال والحركات التي تلعب دور نفسي واجتماعي تربط الأفراد بجماعتهم الأولى. وهي من تربط وتنقل الثقافة والتراث من جيل إلى آخر. كما تربط أفراد والعائلات مع بعضها البعض أيضا، خاصة بعد التفكك الاجتماعي الذي أصاب المجتمعات حاليا بما فيها التغير الحاصل في المجتمع الجزائري وسكان مدينة بجاية خاصة، من ثم تعتبر مثل هذه الأحداث والعادات والتقاليد فرصة للم شمل، وجمع الرحم والتواصل بين الأفراد وإعادة إحياء العلاقات والروابط الاجتماعية.

حسب النتائج والتحليلات التي تم التوصل إليها، نجد أن للموروث الديني والغبي وما يتعلق به من اعتقادات غيبية دور في والتمييز بين الممارسات الاجتماعية حول طقوس العبور و ممارسات اجتماعية معينة، تبعا لاختلاف نوع العقيدة والديانة، فيكون مصدر التقاليد المجتمع الإسلامي تمارس وفقا

لاعتقادات مصدرها الدين الإسلامي والسنة النبوية الشريفة: أمثال العقيقة، والسابع، وحلق رأس الطفل الذكر، والأذان في أذن المولود، وتحديد اسمه في اليوم السابع من ميلاده. وإن كانت أيضا حرية الاختيار في الأفعال مسألة لا يمكن دحضها، مثلما أكد على ذلك ماكس فيبر، أن الفرد يختار ما يريد من الأفعال والقيم والطقوس التي يراها تخدم مصالحه وأهدافه، هنا نلاحظ العديد من الناس يختار الطقوس الدينية كونه يعتقد أكثر بمسألة الجنة والنار، بينما الآخر تتوجه أفعاله أكثر إلى تطبيق الطقوس الشيطانية أو التنجيم والشعوذة في تحقيق أماله وتعظيم له مكانته في هذه الحياة. وهكذا استطاعت هذه الموروثات في جانبها الديني والغبيي، والجغرافي أيضا أن تلعب دور اجتماعي كبير في التمييز بين الأفعال وكذا تحديد القيم والأعراف المحددة اجتماعيا والمقيد بها، التي تساعد في جمع أفراد المجتمع حول هدف واعتقاد مشترك له دور بالغ في لم شمل وتحقيق عضوية الجماعة باختلاف موروثاتها ومكتسباتها، رغم التطور العلمي والانتشار الثقافي الذي أصاب العالم إلى درجة توحيد الأشكال واللغات والعلم والطموحات، إلا أنه ما زال الجانب القيمي والموروث الاجتماعي الشعبي، يلعب الدور الجوهري في التمييز بين أصل الشعوب وهويتهم، ليحفظ بذلك هوية الأمة وثقافتها من التلاشي والاندثار أمام انعكاسات العولمة التي اجتاحت القيم والثقافات والأمم).

7. قائمة المراجع:

- Essahli elach hassene & Mohamed touik, *Popular beliefs in Arab heritage*, volume 02. Dar eldjilil.
- Niboua louck, (2001). *Signs, symbols and myths*, (Translated by: Fayez kem nafach), volume 1. Bayrout Lebanon : Aouidat for publishing and printing.
- Faras al-sawah, (2001). *Myth and meaning: Studies in mythology and oriental religions*, volume 02. Syria: Alaa House for Publishing distribution and Translation.
- Nidhal fakheri ttah, (2009). *Popular and social rituals and beliefs in folk literature in ramallah governorate* , Thesis in Arabic Language. Nablus, Palestine : Faculty of Graduate Studies, An-najah national university.
- Mohamed aldjouhri, (1993). *Scientific Studies of Popular Beliefs*, volume 03. Alexandria, Egypt: Dar Al-Ma'rifah Al-Jami-eya.

- السهلي الباش حسن، و محمد توفيق. *المعتقدات الشعبية في التراث العربي*، ط1. دار الجليل.
- نبوا لوك. (2001). *أشارات رموز وأساطير*. (فايز كم نفس، المترجمون) بيروت، لبنان: عويدات للنشر والطباعة.
- فراس السواح، (2001). *الأسطورة والمعنى: دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية*، الطبعة الثانية. دمشق، سوريا: دار علاء للنشر والتوزيع والترجمة.
- نضال فخري طه، (2009). *الطقوس والمعتقدات الشعبية والإجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله، رسالة ماجستير في اللغة العربية*. نابلس، فلسطين: كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية.
- محمد الجوهري، (1993). *الدراسات العلمية للمعتقدات الشعبية*، ط3. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.

-List of interviews:

- Hadjila massoudi 85 years old. Interviewed on (20 December 2020), on the subject of : *Christmas rituals*, (By interviewer Lydia Adjissa), in Amizour, Bejaia, Algeria.
- L, Ferchouli 80 years old. Interviewed on (20 December 2020), on the subject of : *Christmas rituals*, (By interviewer Lydia Adjissa), in Amizour, Bejaia, Algeria.
- EL-djoher, s 87 years old. Interviewed on (21 December 2020), on the subject of : *Christmas rituals and beliefs*, (By interviewer Lydia Adjissa), in Amizour, Bejaia, Algeria.
- Farida B , 82 years old. Interviewed on (10 January 2021), on the subject of : *Christmas rituals*, (By interviewer Lydia Adjissa), in Amizour, Bejaia, Algeria.
- Fatima Maouchi 57 years old. . Interviewed on (30 December 2020), on the subject of : *Christmas rituals*, (By interviewer Lydia Adjissa), in Amizour, Bejaia, Algeria.

- Missounneuve Jean, (1988). *Les Rituels presses univérssitaires*, volume 1. paris: 1er Edition.
- Cazeneuve Jean, (1971). *Sociologie du rite: tabou, magie, sacré*, volume 1. paris: Edition PUF.

- قائمة المقابلات:

- حجيبة مسعودي 85 سنة. مقابلة تم إجرائها يوم (20 12, 2020). حول طقوس الميلاد. (ليدية عجيسة، المحاور) بلدية أميزور ولاية بجاية، الجزائر.
- ل، فرشولي 80 سنة. مقابلة تم إرائها يوم (20 12, 2020). حول طقوس الميلاد. (ليدية عجيسة، المحاور) بلدية أميزور ولاية بجاية، الجزائر.
- الجوهر س، 87 سنة. مقابلة تم إجرائها يوم (21 12, 2020). حول طقوس الميلاد ومعتقداته. (ليدية عجيسة، المحاور) بلدية بجاية ولاية بجاية، الجزائر.
- فريدة ب، 82 سنة. مقابلة تم إجرائها يوم (10 01, 2021). حول طقوس الميلاد. (ليدية عجيسة، المحاور) بلدية بجاية ولاية بجاية، الجزائر.
- فاطمة معوشي، 57 سنة. مقابلة تم إجرائها يوم (30 12, 2020). حول طقوس الميلاد. (ليدية عجيسة، المحاور) بلدية أميزور ولاية بجاية، الجزائر.

8. ملاحق:

1.8 قاموس عربي قبائلي: (اللهجة البجاوية).

الكلمة بالعربية	الكلمة بالقبائلية	كيفية النطق
الإنجاب	أرفو	Arvou
الأم	ثيمات	Thayemat
المرأة	ثمطوث	Thamtouthé
إنجاب المرأة	أرفو نتماطوث	Arvou n Tmatouthé
ميلاد طفل	ثلاليث لطوفان	Thalalith ltoufan
العائلة	ثواشولت	Thawachoult
أمها	إيماس	lmasse
أم الزوج، أم زوجها	ثمغارث، ثمغارثيس	Thamghareth, Thamgharthis
عملية الولادة	ثراوث	Tharawthe
زيت الزيتون	زيث نترمورث	Zithe n-Tzamourthe

طقوس الميلاد لدى سكان الجزائر

Thamamet	ثامامت	العسل الحر
Ayefki	أيفكي	الحليب
Thazareth, nagh Ifssassen	ثزارث أو إفساسن	التين المجفف
Etmar, nagh Tafrzayet	أتمر أو تفرزايث	التمر
Adoudhe	أدوذ	المخاض
Ilillawan	إيلالون	الزغاريد
Ataf s-Wadoudhe	أطاف سوادوذ	عملية الإنجاب
Alkabla	القابلة	القابلة
Eltoufan	لطوفان	الجنين
Akchiche	أكشيش	ذكر
Thakchichethe	ثكشيشيث	أنثى
A3boute y-masse	أعبوط يماس	بطن الأم
Tesskiya	تسكيا	الكيس المائي
Loja3	لوجاع	ألم المخاض
LA3yat Amzwaro	لاعياط أمزوارو	صراخ الأول للطفل
Izourane, IZOURANISSE	إزوران، إزورانيس	شرايين، شراينه
Thardassethe	ثارداسث	شبر
Itoudhane	إطوظان	أصابع
Thimite	ثيمييط	سرة
Thawakna	ثواقنا	لف
Enfas	أنفاس	بقايا الدم
Amrar	أمرار	الحبل
Akssoume	أكسوم	اللحم
Thisснаfra, nagh Isthemesse Itoufane	ثيسنافرا، أو إستماس لطوفان	المشيمة
Idheles	إذلس	عشبة الحبل
Thafethilet	ثفثيلت	فتيلة الشمع
Iskane	إسقان	الحبل المصنوع من العشب